16 ème Année No. 787

Lundi — 2 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدب المقـــالة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشر الكاتب المطبوع الدكتور زكى نجيب محمود جملة من مقالاته فى مجموعة سماها باسم إحدى هذه المقالات ، وهى « جنة العبيط » .

ولو شاء الكاتب المطبوع لسماها « جهنم الحصيف » ، ولم يكن فى تسميته خطأ ولا خروج عن صدق الدلالة ؛ لأن هذه المقالات فى جملتها تدل على هذه « الجهنم » التى يعانيها الحصيف فى حياته ، فيترجم عذابها وآهاتها فى أسلوب يلوح للقارئ كأنه غير أسلوب العذاب والآهات ، وهو منه فى الصميم . وذاك هو أسلوب السخرية والمزاح .

لا جرم جعل الدكتور زكى شرط المقالة أن يكون الأديب ناقماً ، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل . فإن التمست فى مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع الناس فلم تجدها ، وإن افتقدت فى مقالة الأديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه ، فاعلم أن المقالة ليست من الأدب الرفيع فى كثير أو قليل ، مهما تكن بارعة الأسلوب رائعة الفكرة . وإن شئت فاقرأ لرب المقالة الإنجليزية أدسن ما كتب ، فلن تجده إلا مازجاً سخطه بفكاهته ، فكان ذلك أفضل أدوات الإصلاح » .

وإذا كانت المقالة كذلك فسم أدب المقالة جنة العبيط أو جهنم الحصيف ، فأنت على صواب .

ولكننا نريد أن نقول إن « المقالة » أنواع وليست بنوع واحد ، وإن اسمها فى العربية لا يحصرها فى هذا الغرض الذى أحب الأستاذ أن يقصرها عليه ، ونريد أن نتفاهم على اسم يطابق المقالة كما يعرفها فى مقدمة هذه المجموعة على التخصيص .

يقول الأستاذ : إن المقالة يشترط فيها « أن تكون على غير نسق من المنطق : أن تكون أقرب إلى قطعة مشعثة من الأحراش الحوشية ، منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة » ... ويقتبس رأى جونسون الذى يرى : « أنها ثروة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام » ... قطعة لا تجرى على نسق معلوم ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها ، وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شىء » .

ومما لا خلاف عليه أن هذا التعريف يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة ، ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية ، ولا يصدق على جميع الفصول التى تكتب فى حيز المقالة المستقلة .

فالكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوربية يوشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة . فكلمة « Essay » وكلمة « Sketch » وكلمة « Treatise » بل كلمة « Study » ، وهى

تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يحوزها الصقل والإنجاز ، وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير ، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها ، أو النموذج الذى يصب التمثال على مثاله ، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط . كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية ، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتم الذى استوفى نصيبه من الإتقان ، كما فعل الفيلسوف مونتانى أبو المقالة الأوربية ، حين سمى فصوله بالمحاولات ، لأنه يراها دون ما ينتظر من مثله من التحقيق والاستيفاء ، لا لأنه يحقق بها شروطاً يتقيد بها الكاتب ولا يجوز له أن يخرج عنها .

وكلمة article وهى أبعد قليلا من هذا الغرض ، تفيد معنى الفاصلة أو الجزء ، ويقابلها عندنا معنى « الفصل » الذى يستقل بموضوعه ، ولا يشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول .

لكن هذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية .

فمقالات باكون وماكولى وأرنولد وسان بيف ليست كلها من هذا القبيل . بل مقالات « وليام هازليت » نفسه على مساهمته فى أدب المقالة كما يعرّفها الدكتور زكى نجيب ، لا تجرى كلها على هذا النسق ، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير .

ولا يخفى أن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً فى عدد الصفحات ، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز مقالة ، فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات .

لهذا نقول : إننا فى حاجة إلى اسم غير اسم المقالة للدلالة على نوع المقالات التى يعنيها الأستاذ نجيب .

فهل نسميها المجالة ؟ أو نسميها النبذة ؟ أو نسميها الأحدوثة ؟ أو نسميها الأمالية ؟ أو نسميها السامرة ؟

إن اسماً من هذه الأسماء أدل عليها من اسم المقالة على إطلاقه ، وقد عرفنا الأمالى والسامرات والنبذ والمجالات فى الأدب العربى فرأينا فيها مسحة من أسلوب المقالة كما شاع بين الأوربيين فى العصر الحديث .

على أننى لا أدرى هل أقرظ « جنة العبيط » أو أنقدها حين أقول إنها تشتمل على مقالات لا تنطبق عليها الصفة التى قيد بها كاتبها موضوع المقالة الأدبية . ومنها مقالة « أعذب الشعر أصدقه » ، ومقاله « عن أدب المقالة » بعد المقدمة ... فإنهما بريئتان من فضيلة التشعث والخلو من النسق المنطق وضابط التنظيم إن صح أنها فضائل مشروطة فى جميع المقالات .

إلا أن فيلسوفنا عدو الفلسفة قد استطاع أن يحرص على هذه الفضائل وأن يتجنب المنطق والنظام فى بعض المقالات الأخرى فلم يخطئه التوفيق ، لأنه قد استطاع مع ذلك أن يقول شيئاً تلذ قراءته ويستجيش الذهن إلى التفكير .

قال فى مقال « النساء قوامات » :

« إذا عشت فى أمة هازلة حملك الناس محمل الهزل إن كنت جاداً ، وأخذوك مأخذ الجد إن كنت مازحاً »

ثم قال : « ولست أرى لك حيلة سوى أن تقسم لهم فى مستهل الحديث بالذى بسط لهم الأرض ورفع السماء أنك فيما تحدثهم به إنما قصدت إلى الجد ولم تقصد إلى المزاح » .

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إننى أعرف هذه الخصلة جد المعرفة ، لأننى كثيراً ما كنت من ضحاياها .

ومن ذاك أننى اقترحت مرة على مسمع من شيوخ عقلاء أن تعمد الحكومة إلى تجربة نافعة فى كفاح الشيوعية ، وهى إخراج الشيوعيين مرتين فى كل يوم « طابورا » واحداً يمر كل يوم فى حى من أحياء المدينة ، ليرى الناس بأعينهم أى « خلق مقلبة » هذه التى تريد أن تقلب العالم على من فيه .

فضحك الشيوخ العقلاء !

وكتبت ذلك من قبل ومن بعد ، فضحك القراء الألباء .

مع أننى والله جاد فيما أقترح ، ولا أزال مصراً على هذا الاقتراح

أيرى صديقنا الدكتور نجيب أن هذه مقدمة مطمئنة فى صدد الكلام على مقترحاته ؟

ليتمهل قليلا ... أقل من لحظة واحدة ، لأننى سأقول له على الأثر إننى أحسبه مازحاً فيما كتب ، وأحسبه محققاً لشرط